الأسس الفلسفية في البحوث المختلطة

Philosophical Assumptions in Mixed Methods Research

محمد بن عبد الله بن عطية الأحمدي الزهراني(*)

المستخلص

تشير هذه الدراسة إلى أن الأسس الفلسفية ركيزة رئيسية عند دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية، وتفسير الواقع الاجتماعي، وبناء المعرفة. ومعرفة الفلسفة البحثية يوضح للباحث أفق دراسة للظاهرة، ويرسم له حدود استكشافها وتقصيها، ويسهم في بناء أدواتها وأساليب تحليل بياناتها، وتحقيق شروط الجودة في إجراءتها. ولذلك هدفت هذه الدراسة إلى مناقشة أربع وجهات نظر فلسفية رئيسية عالمية تعتمد عليها البحوث المختلطة في الجمع بين الواقع الوجودي والابستمولوجي في دراسة واحدة وهي: النقدية الواقعية، والبرجماتية، والجدلية، والتحويلية. وهذه الفلسفات الأربع استطاعت أن تشكل علاقة منطقية للجمع بين الجوانب الكمية والنوعية في دراسة واحدة لتصل إلى درجة من التكامل في الوصول إلى الحقيقة. وأظهرت هذه الدراسة أن البحوث المختلطة استفادت من خصائص كل فلسفة في التبرير للجمع بين الجوانب الكمية والنوعية، ودعم استنتاجاتها المعرفية النهائية.

Abstract

Research paradigms are essential to study social and human phenomena, interpreting social reality and construct knowledge. It is noting that identifying research philosophy is clarified for researcher scope of phenomena, and boundaries of it. Further, understanding research philosophy can help researchers in designing data collections tools, and achieving high-quality criteria in research procedures. Thus, mixed methods research advocate for explicit discussion of paradigmatic foundations that support the integration process. This paper aims to discusses four essential philosophical assumptions and perspectives repeatedly discussed in mixed methods literature: pragmatism, critical realism, transformative, and dialectics. The study revealed that mixed methods got benefits from each paradigm to justify its logic of combining between qualitative and quantitative components,

(*) محمد بن عبدالله الأحمدي الزهراني. حصل على الماجستير والدكتوراه في التربية من جامعة إكستر في المملكة المتحدة. ويعمل أستاذا مساعدا في كلية التربية بجامعة بيشة. مهتم بالبحوث المختلطة، ودراسات الفهم القرائي في اللغة الثانية، وتطوير تدريس اللغة الإنجليزية في السياقات العربية.

Keywords: Mixed Methods, Philosophical Assumptions, Pragmatism, Critical realism, Transformative, and Dialectics

المقدمة

يحمل البشر معتقداتهم ومعانيهم لإدراك الواقع المحيط بهم، ويثيرون تساؤلات مختلفة مثل: ما هو الواقع؟ وكيف يكون؟ وكيف يتغير؟ ومن يدير هذه العملية؟ وأين نقع نحن من هذا العالم؟ وكيف يؤثر في تشكيل قيمنا وثقافتنا وعلاقاتنا؟ وقد ظهرت الأسس الفلسفية المختلفة للإجابة على التساؤلات السابقة محاولةً تفسير الادعاءات حول العالم، والواقع، والحقيقة، وبيان علاقة الإنسان بها، ودورها في تشكيل مفاهيمه بطرق مختلفة. وعندئذ وضع العلماء مجموعة من المبادئ المجردة المشتركة فيما بينهم كالنظرة للوجود (Ontology)، وطبيعة المعرفة (Epistemology). وأضافوا لذلك المبادئ التطبيقية كالمناهج البحثية، وأدوات جمع البيانات، والأخلاقيات، التي توضح العلاقة بين الباحث والظاهرة أو بينه وبين وحدات إنتاج المعرفة (المشاركين) (Crotty, 2015). وبناء على ما أوجده العلماء من مبادئ مختلفة للإجابة على التساؤلات السابقة تشكلت المدارس البحثية المختلفة، وتعددت أساليب إجراءات البحوث في دراسة الظواهر الإنسانية (Bryman,2016). ووصل الحال بها في بعض الأحيان إلى التصادم والصراع الفلسفي كما ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية فيما سمي بالحروب الفلسفية. ونتيجة لهذا التصادم وغيره ظهرت البحوث المختلطة كحركة علمية لدراسة موازية للبحوث الكمية والنوعية لدراسة الظواهر الإنسانينة.

إن دور النموذج الفلسفي في فهم كيفية دراسة الظاهرة، وضبط أخلاقيات وقيم دراستها، وتبرير استنتاجاتها، ودوره في توجيه القوانين والافتراضات، وأدوات جمع وتحليل البيانات، وضبط العلاقة الرابطة بين الجانبين الكمي والنوعي يستدعي أن يناقش الباحث في البحوث المختلطة نموذجاً فلسفياً يدعم التصميم البحثي، وإجراءاته المنهجية، ومبدأ الدمج بين المكونات المختلفة فيه (Tashakkori et al., 2021). ولذلك تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على النماذج الفلسفية الأربعة الشائع استخدامها عالمياً (النقدية الواقعية Critical Realism، والبرجماتية Pragmatism، والجدلية Dialectics ، والتحويلية Transformative) التي تعتمد عليها البحوث المختلطة في دراسة الظاهرة الإجتماعية والإنسانية.

مشكلة الدراسة

تشهد البحوث المختلطة في الفترة حالية حالة من الاهتمام في العلوم الاجتماعية والتربوية عالمياً لدورها في فهم الواقع الاجتماعي والتربوي، وسبر أعماق الظواهر المعقدة فيهما، واستكشاف خفاياها بطريقة علمية متكاملة بين الجانبين الكمي والنوعي في دراسة واحدة.

ووفر هذا المنهج للباحثين الأسس الفلسفية، والأساليب المنهجية، وأدوات جمع البيانات، واستراتيجيات تحليلها، وآلية الدمج والتكامل لتنتجج معرفة علمية تكاملية حول القضية المدروسة. وساهمت هذه الخصائص في فتح أفق منهجي جديد أمام الباحثين في القرن الحديث لدراسة الظواهر والقضايا في مختلف المجالات العلمية. وبهذا ينظر إلى البحوث المختلطة على أنها منهج بحثي شمولي يوازي المنهجين القائمين الكمي والنوعي بأساليبهما المختلفة (Tashakkori et al., 2021). ولم يعد منهج البحوث المختلطة ملتزما الصمت حول الفلسفة التي تدعمه، بل باتت هناك مجموعة من الفلسفات العلمية التي يستند عليها في رؤيته للقضايا، وينتج من خلالها المعارف بطريقة منطقية، متماسكة إجراءاتها حتى لا يهدد صلاحية ومصداقية ما يستنتجه من معرفة (Mertens, 2009). غير أنه رغم أهمية استخدام الأسس الفلسفية في الدراسات الأجنبية، ودورها في توضح كيفية تصور المشكلة، ومعالجتها، وإيضاح مفاهيمها، وتلخيص معتقدات الباحثين حول جهودهم لخلق المعرفة (Morgan, 2007) نجدها غائبة في الدراسات العربية. ويشدد تدلي وتشكري على أن مناقشة النماذج الفلسفية تعتبر قضية رئيسية في البحوث المختلطة (Tashakkori & Teddlie 2003).

أهمية الدراسة

يشهد مجال البحوث المختلطة في المجتمع العربي على وجه الخصوص نقصاً واضحاً في الأدبيات العلمية النظرية، التي تمهد طريق التطبيق العملي لإجراءاته في دراسة الظواهر الإنسانية. وهذه الدراسة تأتي لتسهم في سد فجوة معرفية واضحة في جانب الفلسفة الداعمة للبحوث المختلطة في العالم العربي. إنه على الرغم مما شهده تطور مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية والإجتماعية في المؤسسات الغربية، إلا إنه مازال يشهد قصوراً فيما يتعلق بفهم منطلقاته الفلسفية التي تلعب دوراً في تشكيل المعرفة فيه، والمرونة في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية. ولذا يؤمل من هذه الدراسة أن تفتح أفقاً للباحثين في الإطلاع على الأسس الفلسفية الداعمة للمناهج البحثية بصفة عامة والبحوث المختلطة بصفة خاصة.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

١. التعريف بالنماذج الفلسفية الأربعة التي تستند عليها البحوث المختلطة عند صناعة تصميماتها، وبناء اجراءاتها، وإنتاج معارفها.

٢. توضيح مفهوم، ودور، ومكونات النموذج الفلسفي في فهم طبيعة البحوث المختلطة.
٣. المساهمة في سد فجوة استخدام الأسس الفلسفية في البحوث المختلطة في العلوم الإجتماعية بشكل عام عبر التركيز على الفلسفات الأربع، الذي تتناولها هذه الدراسة.

منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة النظرية على البحث الوصفي الذي مكنني من الاطلاع والدراسة للأدبيات المنشورة والمتعلقة بالنماذج الفلسفية الداعمة للبحوث المختلطة. ولذلك تركز البحث في هذه الدراسة على كل ما يتعلق بتوظيف الفلسفة في البحوث المختلطة من أوراق علمية ذات الصلة بموضوعها. وواجهت ندرة في مناقشة، وإثراء هذا الموضوع في أدبيات البحوث العربية المنشورة في قاعدة بيانات اسكوبس او الفهرس العلمي الدولي International Scientific Indexing(ISI).

النموذج الفلسفي في العلوم الانسانية

إن هناك حاجة إلى معرفة ما هو النموذج الفلسفي قبل مناقشة الأسس الفلسفية، التي تدعم البحوث المختلطة. يدل النموذج الفلسفي على الافتراضات الفلسفية أو مجموعة المعتقدات، التي تقود الأفعال، والأحداث، وتعرف بالنظرة العالمية للبحث (Lincoln et al., 2011).

ويعود النموذج الفلسفي إلى توماس كون (Kuhn, 1996)، الذي عرفه بأنَّه "منظور نظري يشير إلى كيفية تعامل الباحث مع إجراءات البحث: ككيف قام بتصميم منهج البحث، وكيف قام بجمع البيانات، وتحليلها، وتفسيرها، ومناقشتها" (ص.١٠). وتكمن وظيفته في عمله كإرشادات في البحوث الاجتماعية (Abbot, 2004, p.42). ونتيجة لهذا، فإنه عبارة عن أدوات مفاهيمية أو تطبيقية عملية يجمع عليها فئة من المختصين بحيث تُستخدم لحل قضايا بحثية محددة. ويجمع العلماء على أنَّ المجتمع العلمي لا يمكنه ممارسة تجاربه، وطرق البحث عن الحقيقة دون مجموعة من المعتقدات المشتركة، والمتوافق عليها فيما بينهم بحيث تشكل أساساً للبدء، والبناء في ذلك المجال. وعلى الرغم من هذا الإجماع، إلا إن كوهين (Cohen, 2011) ينتقد هذه المعتقدات الراسخة في كونها قد تسيطر سيطرة عميقة على أذهان أعضاء ذلك المجتمع أو المنظمين إليه. والسبب في أن الافتراضات الفلسفية الباحث توجهه في كيف يتم دراسة الظاهرة، وفهمها، وما الأهداف لدراستها، وما النتائج منها؟ وعلى هذا أصبحت تلعب دوراً محورياً في عمليات البحث بأكملها، من الصورة الذهنية لواقع المشكلة البحثية إلى مخرجات عملية البحث. ولذلك، فإن الوصول إلى إطار موحد عام حول نموذج فلسفي واحد في العلوم الإنسانية والاجتماعية يمثل تحدياً للعلماء. لأنَّه يعبر عن مفاهيم متعددة (Wellington, 2015). وأن كل نموذج فلسفي يحمل منظوراً مختلفاً عن

الآخر في طبيعة الوجود، ونظرية المعرفة، والمنهج، والأخلاقيات، والبلاغة في البحث (Kaushik & Walsh, 2019). وعلى الرغم من إطلاق مصطلحي البحث الكمي أو النوعي في بعض الأحيان على النموذج الفلسفي الوضعي والتفسيري، إلا إنه لا ينبغي استخدام المصطلحين كمرادفات للنماذج الفلسفية (Biesta, 2010)، لأن هذا يبعدنا عن مناقشة كيفية تفعيل تطبيق النموذج الفلسفي الذي يحمل في طياته مناهج إجرائية لدراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية أو يبعدنا عن بناء نماذج فلسفية جديدة.

لقد تعددت النظرة إلى النموذج الفلسفي في البحوث المختلطة نظراً لاختلاف منطلقاتهم الفلسفية. فنجد أن ميرتنز (Mertens, 2003) تعرفه على أنه "رؤية للعالم تكتمل بالافتراضات المرتبطة بطريقة العرض" (ص. ١٣٩). وتتفق معها روزمن ورالس (Rossman & Rallis, 2003) على أنه "وجهات نظر عالمية Worldviews، وفهم مشترك للواقع Shared understanding of reality" (ص. ٣٦). ويعتقد جون كريسويل (Creswell, 1998) أن "الباحثين النوعيين يدعمون دراساتهم بنموذج معين، أو نظرة عالمية، أو مجموعة من الافتراضات التي توجه استفساراتهم"(ص. ٧٤). وتتفق معهم لينكولن (Lincoln, 1990) في وصفها له على أنه رؤية بديلة عن العالم، حيث إن تأثيره يتغلغل في كل جوانب التحقيق البحثي. إلا إن ديفيد مورجان (Morgan, 2007) يعرفه على أنه "نظام من المعتقدات، والممارسات، التي تؤثر في كيفية اختيار الباحثين للأسئلة، التي يدرسونها، ولأدوات جمع البيانات، التي يستخدمونها في دراساتهم" (ص. ٤٩). ويصرح ألن بريمن بأن مجموعة هذه "الاعتقادات، والمتطلبات تؤثّر على العلماء؛ من حيث ما يجب بحثه، وكيفية إجراءه، وطريقة تفسير النتائج" (Bryman, 2016, p. 637).

إلا إن جونسون وأونويبيوزي يعتقدان أنه "ثقافة البحث" لأنه يدفع مجموعة من أعضاء المجتمع لهم نفس المواقف المشتركة من التجمع حول طبيعة إجراء البحوث (Johnson & Onwuegbuzie, 2004, p. 24). ويجادل بيستا بأنه يجب ألا يكون أكثر من "أدوات Tools" مفيدة لعملية البحث، وليست اعتبارات إقصائية

(Biesta, 2010). ويعتقد آبوت أنه "أدوات مفاهيمية، وعملية تستخدم لحل المشكلات البحثية المحددة، وتعمل كإرشادات للباحثين في البحوث الاجتماعية" (Abbott, 2004, p. 42).

ويعترف تشكري وآخرون بأنه مصطلح واسع، وذو نزعة مجردة، ويحاولون صياغته على أنه "نظرة للكون أو رؤية تتعلق بالعَالَم، والأشياء بشكل عام تعتقدها مجموعة من الناس (مثل العلماء). وتشتمل على مجموعة من الافتراضات والمعتقدات المخصوصة عن طبيعة الوجود (الواقع)، ونظرية المعرفة، والأخلاقيات (القيم)، والمناهج (جمع البيانات)، البلاغة (النمط التواصلي)"(Tashakkori et al., 2021, p. 20) . وتدعو كل

من جرين وهل (Greene & Hall, 2010) إلى وجوب استبدال النموذج الفلسفي، لأنه يعْتَبرُ تصورات مرنة، وكيانات بنائية نمائية، وليست كيانات ثابتة (Freshwater & Cahill, 2013, p. 3).

وتجمع التعاريف السابقة للمنوذج الفلسفي في البحوث المختلطة على أنه يتضمن المكونات الآتية:

١. تصريح واضح بالقوانين والافتراضات النظرية.
٢. الطرق القياسية لتطبيق تلك القوانين الرئيسية على مجموعة متنوعة من المواقف.
٣. الأداوت والأساليب الإجرائية، التي تجعل القوانين في النموذج الفلسفي تؤثر في العالم الحقيقي.
٤. المبادئ الميتافيزيقية العامة، التي توجه العمل في إطار النموذج الفلسفي.
٥. وصف المنهجية العامة حول كيفية إجراء البحوث في إطار النموذج؟

وصنف العلماء دلالات النموذج الفلسفي في البحث العلمي إلى أربعة محاور عامة يمثلها الجدول (١).

جدول (١) أشكال النموذج الفلسفي عند العلماء وعلاقته بالعملية البحثية

النموذج كرؤية للكون أو العالم Worldviews	ما هي المناهج التي ترتبط وتتناسب مع الرؤية الواحدة للعالم، بحيث تشتمل على رؤية طبيعة الوجود، ونظرية المعرفة، والقيم، والأخلاقيات، وتشكيل حلاً للمشكلة المحددة من خلال ممارسة مقبولة؟
النموذج كالموقف المعرفي Epistemological Stance	ما هي المناهج التي ترتبط بنظرية المعرفة، والوجود، والقيم والأخلاقيات، وتشكل حلاً للمشكلة المحددة بواسطة ممارسة مقبولة؟
النموذج كمعتقدات مشتركة Sahred beliefs	ما هي المناهج الي ترتبط بالقيم، والأخلاقيات المشتركة بين العلماء، وتشكل حلاً للمشكلة المحددة من خلال ممارسة مقبولة؟ أو ما هي النماذج التي تخدم حلاً للمشكلة المحددة بطريقة عملية؟
النموذج كنموذج Model	إنتقائية: ما هي المناهج التي على صلة بتشكيل ممارسة مقبولة؟

المصدر: (Freshwater & Cahill, 2013, p. 5)

إن هذه المدلولات للنموذج الفلسفي تبدأ من النظرة العامة والشاملة، وتنتهي بالنظرة الخاصة والمحدودة. وعلى الرغم من هذا التسلسل من العام إلى الخاص، إلا إنها جزء لا يتجزأ من بعضها، ولا ينفي بعضها الآخر. فعند استخدام الباحث لها كنموذج، فإنه بطريقة أو بأخرى يعبر عن مجموعة من المعتقدات المشتركة في المجال (Norwich, 2020). وأجد أن تمثيله في بحوث العلوم الاجتماعية والإنسانية لا يخرج عن واحدا من سبع حالات عامة يمثلها الشكل (١):

الشكل ١: صور النموذج الفلسفي في البحث العلمي

وينبثق الجدل بين النماذج الفلسفية من محاولة دعم معتقدات العلماء حول شكل الواقع، والمعرفة، وكيفية الوصول إليها. على سبيل المثال، هل هناك حقيقة مطلقة؟ أي خارج العقل. وهل نعتقد أن هناك عوامل متعددة؟ ويتردد سؤال بين الباحثين: هل يمكن الاستغناء عنه كلياً؟

إن العملية البحثية عملية منطقية ترابطية من قضية الدراسة إلى تقديم الاستنتاجات المنطقية حولها. ولذلك يتجلى دور النموذج الفلسفي في إعطاء المعرفة أو الاستنتاجات النهائية إطارا تشريعياً وصلاحية لقبولها في ضوء رابطة منطقية تظهر في الشكل (٢):

الشكل ٢: علاقة النموذج الفلسفي بعمليات البحث

مكونات النموذج الفلسفي

يرتكز النموذج الفلسفي على أربع ركائز أساسية محاولاً إيضاحها في البحوث العلمية يوضحها الجدول (٢) وهي:

١. المنهج
٢. أدوات جمع البيانات
٣. والمنظور النظري
٤. ونظرية المعرفة

جدول ٢: تعاريف مكونات النموذج الفلسفي

المصطلح	التعريف
المنهج Methodology	استراتيجة، خطة عمل، عملية، أو تصميم يقع خلف اختيار واستخدام أدوات جمع بيانات مخصوصة، وربطها باختيار واستخدام تلك الأدوات بالنتائج المرغوبة.
أدوات جمع البيانات Methods	إجراءات وأساليب تستخدم لجمع، وتحليل البيانات، وارتباطها بأسئلة الدراسة أو فرضياتها.
المنظور النظريTheoretical Perspective	وجهة نظر فلسفية تشكل المنهج وتمهد لمنطقه ومعاييره.
نظرية المعرفة Epistemology	ترسخ المنظور النظري. وبذلك ترسخ المنهج.

المصدر: (Crotty, 2015, p. 3).

يعتمد النموذج الفلسفي على مكونين ميتافيزيقيين في رؤية الكون، وفي البرهنة على المعرفة الدالة عليه هما: طبيعة الوجود، ونظرية المعرفة.

يدل المفهوم الأول، على وصف عملية فهمنا للواقع، ومعتقداتنا حول طبيعة الكون، وإنه نظام من المعتقدات، التي يفسر من خلالها الباحث الحقيقة أو ما يعتبره حقيقة (Blaikie & Priest, 2019). ويشمل التقصي، أو الافتراضات، أو النظريات، أو طبيعة كل ما هو موجود، وذو صلة بطبيعة الوجود، والكون على الإطلاق. ولذلك، فإن هذا المكون من مكونات الفلسفة يتعلق بدراسة ما وراء الطبيعة (Metaphysics). ويعني في إطار البحث الافتراضات أو الادعاءات حول طبيعة الواقع الاجتماعي والتربوي، أو المزاعم حول ما هو موجود، وما هو شكله، وما هي الوحدات المكونة له، وكيف تتفاعل هذه الوحدات أو الكيانات فيما بينها.

ويدل المفهوم الثاني، نظرية المعرفة على الأفكار، التي يمكن اعتبارها معرفة، وكيف نستطيع معرفة ما نعتبره معرفة؟ وما هي المعايير، التي يجب أن تُستوف لتسمى معرفة وليس معتقدات؟ وما الذي يمكننا قبوله كمعرفة؟ وبالتالي فإنها وصف للعمليات،

التي تجعلنا نعرف أو نفهم الواقع من حولنا (Bazeley, 2018). ويتضمن هذا المبدأ منطق دراسة صلاحية الحجج، والادعاءات، وأشكالها الحقيقية. وبوصف إجرائي، فإنها تعني ما نوع المعرفة، التي يبحث عنها الباحث كنتيجة للعملية البحثية. وفي واقع الممارسة البحثية تعني معرفة كيف، ولماذا، وماذا تقوم به في البحث؟

وبرز في ضوء المفهومين فلسفتان هما: الوضعية Positivism أو ما بعد الوضعية Post positivism، الداعمة للبحوث الكمية، والفلسفة التفسيرية أو البنائية Constructivism/ Interpretivism الداعمة للبحوث النوعية (Guba, 1987). ويبدو أنهما متضادتين في رؤيتهما للواقع، والمعرفة، وآليات تحققهما منها. ومفاد الاختلاف أن الوضعية تعتبر فلسفة حتمية Deterministic Philosophy. لأنها تعتبر اكتشاف الأسباب يؤدي إلى التحكم في النتائج. وأن بمجرد اكتشاف القانون يمكن التحكم في العالم الاجتماعي. ولأجل ذلك، فإنها تنتهج المنهج العلمي، الذي يفكك الظواهر إلى جزئيات، ثم يعزل بعضها عن بعض، ثم يختبر العلاقات بين المتغيرات (الجزئيات) في محاولة للوصول إلى نظرية تكشف القانون النهائي. وينظر العلماء إلى طبيعة الوجود، وطبيعة المعرفة، والمنهج على أنها وحدة واحدة، تشكل حزمة مترابطة يتأثر ببعضها ببعض. وتنطلق هذه الحزمة الواحدة من أساس طبيعة الوجود إلى الوصول إلى طرق البحث (Crotty, 2015).

وفي المقابل، تعتقد التفسيرية أن العالم، والحقيقة يتشكل من خلال العقل الجمعي للإنسان، والتمازج مع ثقافته، ومجتمعه، وقيمه (Crotty,2015).

ورغم هاتين الفلسفيتين السائدتين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، إلا إن الفلسفة البحثية انتقلت نقلةً كليةً مختلفة عنهما إلى إمكانية خلق الواقع وتشكيله كما ظهر في التحويلية (النظرية النقدية) ومنظوراتها المختلفة، أو الجدلية أو الواقعية النقدية أو البرجماتية. ويعزى سبب هذا الانتقال من الوضعية والتفسيرية المتفقتان في وجود الواقع، والمختلفتان في طريقة الوصول إليه إلى إمكانية صناعة الواقع، وخلق الحقيقة من خلال التفاعل مع المجتمع أو مع البيئة أو السياق وفق منظور أيدولوجي.

النماذج الفلسفية في البحوث المختلطة

تعتبر مناقشة النموذج الفلسفي في البحث العلمي بالغة الأهمية بسبب دوره الرئيس في النظر للقضية البحثية، وتصور معالجتها، ودعم الاستنتاجات المعرفية، وجعل عملية البحث أكثر مصداقية وشفافية. ورغم الإجماع على ضرورة البحوث المختلطة لفلسفة تدعم كلا المكونين الكمي والنوعي في الدراسة الواحدة، إلا إن العلماء اختلفوا في أي فلسفة من الفلسفات البحثية القائمة تكون جديرة بإدارة المكونات الكمية والنوعية في الدراسة المختلطة. ومن هنا تعددت في الأدبيات البحثية ادعاءات العلماء حول فلسفة البحوث المختلطة. فيقترح تشكري وآخرون ثلاث فلسفات تناسب البحوث المختلطة، وتدعمها في عملية الجمع

وهي: الفلسفة البرجماتية (Pragmatism)، أو الفلسفية الجدلية (Dialectics)، أو الفلسفية التحويلية–التحررية (Transformative–Emancipation) (Tashakkori et al., 2021, p. 74 ، إلا أن شانون بيكر (Shannon–Baker, 2016) تضيف على مقترحهم فلسفة رابعة يستطيع الباحث من خلالها الجمع بين جميع المكونات الكمية والنوعية في الدراسة الواحدة وهي: الفلسفة الواقعية النقدية (Critical Realism). وقد وجدتهم أشاروا إليها بشكل مقتضب فيما نسبوه إلى أراء ماكسويل التي أسماها بالواقعية (Critical Realism). وقبل هذا فقد أشار ساندرز وآخرون (Saunders et al., 2019) إلى أن هناك موقفين فلسفيين يقودان تصاميم البحوث المختلطة: وهي النقدية الواقعية، والبرجماتية. ورغم هذه تضمين هذه الفلسفات الأربع، نجد أن كريسويل وكلاك وظفا الفلسفتين ما بعد الوضعية والتفسيرية في تصاميمهم التتابعية ذات الأولوية الكمية والنوعية (Creswell & Plano Clark, 2011). ورغم ذلك، إلا إن هذه المقالة تقتصر على مناقشة الفلسفات الأربع الرئيسة، التي تشكل سنداً منفرداً للبحوث المختلطة وهي: الواقعية النقدية، والبرجماتية، والجدلية، والتحويلية التي يتم مناقشتها على التوالي.

الفلسفة النقدية الواقعية

طوَّر الفيلسوف البريطاني روي بهاسكار الواقعية النقدية (Critical Realism) على مبدأ الفصل بين علم الوجود، ونظرية المعرفة، اللذان طالما كان مقترنين في الوضعية والتفسيرية، حتى يكون قادراً على التمييز بين أبعاد المعرفة المتعدية (Transitive Knowledge)، والمعرفة غير المنتقلة (Intransitive Knowledge).

يصف بهاسكار المعرفة المتعدية بأنها ذات صفات قابلة للتغير، أو معرفة مؤقته لمعرفتنا بالواقع. وعليه، فإن بُعد المعرفة المتعدية يمثل النظرة الإنسانية للأحداث، والنتائج، والكيانات، التي يسعى الإنسان لفهمها. وأستطيع القول: بأن نظرية بهاسكار في الواقعية النقدية ساهمت في الإشارة إلى أن تعدد طبقات الواقع النقدي يمكَّن النظريات من الوصول إلى نتائج مختلفة، ويميز بين الأسباب، والأحداث حتى يصبح لتفسيراتنا معنى.

ونظراً لهذه الرؤية المختلفة عن الوضعية والتفسيرية، فإنها أصبحت حركة دولية متعددة التخصصات، وأعادت تشكيل المشهد الفكري في دراسة الظواهر (Margaret, et al., 1998). وحاولت هذ هالفلسفة الإجابة على سؤال طبيعة الوجود المتمثل في: كيف يجب أن يكون الواقع الذي يجعل العلم ممكناً؟ (Bhaskar,1975). وقد عارضت مبادئ الوضعية، التي ترى أن الحقيقة موجودة بشكل كلي، وقابلة للفهم، والاكتشاف، والتفسير، وأنها قادرة اكتشاف القوانين التي تضبط الحياة الاجتماعية، ومن ثم تعميمها على الواقع الاجتماعي.

ومن جانب آخر، عارضت مبادئ التفسيرية أو النسبية المطلقة، التي تدعو إلى أن الواقع الاجتماعي متعدد، ومختلف بين الناس، وهم الذين يكونون الفهم له بناء على تفسيراتهم، وتأويلاتهم لوجوده، واتفاقاتهم الاجتماعية حوله.

وفي هذا السياق، تعتبر النسبية مذهباً يعترف بأن كل المعارف الإنسانية نسبية بما فيها الأخلاق. وأن الأخلاق تتغير بتغير الزمان والمكان. وبهذا وقعت النقدية الواقعية في المنتصف بين الوضعية والتفسيرية. لأنها تحتوي سلسلة من المواقف الفلسفية، التي تجمع بينهما: كعلم الوجود، ونظرية المعرفة، والسببية، والتراكيب، وأشكال التفسير، والناس وما يحملونه من ثقافة (Albert et al., 2020).

لكنها بقيت ذات نظرة مختلفة عن عنهما سواء في نظرتها لواقع الوجود الاجتماعي أو لنظرية المعرفة. ومما تختلف فيه النقدية الواقعية عن الوضعية، والتفسيرية، أنها تجتمع معهما في التأكيد على المعرفة. إلا إنها تختلف عن الأولى في طريقة الوصول إلى المعرفة. فالوضعية تعتمد على التفسير السببي، والقواعد المستندة على التجربة للوصول إلى المعرفة. بينما النقدية الواقعية ترى بأن هناك هياكل وعوامل غير قابلة للملاحظة والرصد الموضوعي وتؤثر في إدراك الواقع الاجتماعي (Cruickshank, 2002) .

وتختلف عن الثانية في أنها استفادت من تركيزها على الفرد، وتكوينه، وتأثير معتقداته، وخبراته، ورؤيته لفهم الظاهرة، ومرونتها في بناء المشتركات بين المشاركين عند بناء المعرفة إلى تسخيرها في اكتشاف، وشرح مبررات، وتفسيرات للسببية التي أظهرتها مبادئ الوضعية (McEvoy & Richards, 2006).

ومن خلال هذه الاختلافات بينها وبين الفلسفتين الاخريتين، فقد ركزت بشكل رئيس على طبيعة الوجود من جانب تقسيمه إلى طبقات. ومن جانب آخر، عزلت المعرفة عن طبيعة الوجود في مجال نظرية المعرفة (Cruickshank, 2002).

ويتضح أنها لا ترفض مبدأ الوضعية المتمثل في وجود عالم خارجي منظم في علاقات، وأنماط يمكن ملاحظتها، ولكنها تختلف معها في نوعية وطبيعة الوجود وآلية الوصول إليه. وفي أن هذه الملاحظات تتشكل في ضوء الثقافة، والتاريخ، والمجتمع، والفرد الملاحظ. ولذا، استخدمت التجريبية في طبقة من طبقات إدراك الحقيقة. وبيَّن باسكار أن أول طبقة من طبقات إدراك الحقيقة في الوجود تكمن في الواقع المدرك من خلال الحواس (مبدأ تجريبي)، إلا إن هذا الواقع ليس الواقع الكلي والنهائي للظاهرة، وإنما جزء صغير من الحقيقة ظاهر ومحسوس مباشرة.

وفي المقابل، لا ترفض النقدية الواقعية مبادئ الفلسفة التفسيرية كليةً في نسبية المعرفة. بل استفادت منها في طريقة أن ما يمكن اكتشافه يبقى تفسيره نسبياً على الرغم من اعتمادها على إيجاد معايير لترشيح تفسير عن آخر بناء على منطقية

التفسير والحكم. ولا تنبع هذه المنطقية إلا بمعرفة تفاصيل السياق، والوقوف على التفسير الأكثر صلة بالظاهرة، وقدرته على فهم ما يترتب على الظاهرة محل الدراسة. ومن هنا، فإن نتيجة هذا التفسير للظاهرة ليس الحقيقة المطلقة، وإنما حقيقة نسبية تقع في إطار المعرفة (Walsh & Evans, 2014) .

إذن، الواقعية النقدية تعتقد بأنه على الرغم من أن هناك واقع خارجي، وموضوعي للعالم الذي نعيش فيه (هذه رؤية واقعية لطبيعة الوجود)، إلا إنه مقسم إلى ثلاث طبقات أو مستويات. وهذه الطبقات تأتي في شكل هرمي، من حيث قدرتنا على معرفة ذلك الواقع. وتمهد كل طبقة إلى فهم الأخرى، بحيث تستمر في إدراك الحقيقة من طبقة إلى أخرى لتصل إلى إدراك أوسع حوله. وإن طريقة تفسير كل منا، وفهمه لذلك الواقع سوف يتأثر بحالتنا الاجتماعية (نظرية معرفة تفسيرية) (Danermark et al., 2019).

ونظرت الواقعية النقدية إلى نوعين من الواقع: واقع حقيقي مستقل عن التصورات، والنظريات الإنسانية؛ وواقع مدرك من خلال التصورات، والخبرات الإنسانية، الذي يجعل الإنسان يفهم العالم في ضوء تصوراته له.

ويضيف كريسويل وبلانو كلارك بأن الواقعية النقدية تؤمن بأن هناك عالم يتم بناؤه في ضوء التصورات الإنسانية الفردية (Creswell & Plano Clark, 2011). وهذه الفكرة تتفق مع منطلقات الواقعية البسيطة التي تشير إلى أن هناك واقعاً مستقلاً، وخارجاً عن التصور الإنساني (Maxwell & Mittapalli, 2010). ولذا، فإن رؤيتها لطبيعة المعرفة على أنها منفصلة عن طبيعة الوجود، ومؤقته، وقابلة للتغيير، وتمثل نظرة الإنسان للواقع، ومدى معرفته به في الوقت الحالي.

وفي جانب نظرية المعرفة، فقد قسمت المعرفة إلى قسمين هما: طبيعة المعرفة اللازمة (Intransitive)، وطبيعة المعرفة المتعدية (Transitive) (Budd et al., 2008, p. 2).

ويبقى توظيف النقدية الواقعية توظيفاً جامعاً بين الشرح والتفسير بهدف الاستفادة من التاريخ، والثقافة، والتفاعل البشري، والبنى الاجتماعية، والعوامل الجغرافية، والبيئية، والمادية، والتجارب، وما يؤثر على المجتمع من عوامل أخرى (Sayer, 2000). وهذا يتطلب وصفاً دقيقاً لطبيعة العالم الاجتماعي، حيث إن العالم الاجتماعي لا يستمد مبادئه من مبادئ السببية في الوضعية في تشكيل كياناته، ولا من البنائية، والتفسيرية في نسبية المعرفة. وبهذه الرؤية في التفكير الجمعي بين مبادئ الوجود في طبقاته المختلفة، وبين النسبية في المعرفة تجد البحوث المختلطة الدعم، التي تجمع به بين البحوث الكمية والبحوث النوعية لمعالجة الظواهر الإنسانية. وتستفيد من جوانب القوة في كل منهما.

إذن، الفلسفة النقدية الواقعية جمعت بين منطلق الوجود عند الوضعية في جزءه التجريبي دون التسليم به قطعياً، وقسمته إلى مستويات، وبين نسبية المعرفة عند

الفلسفة التفسيرية. ورغم تقديمها الدعم للبحوث المختلطة، وإخراج البحوث الاجتماعية والإنسانية من سلطة الوضعية، ومن نسبية وذاتية التفسيرية، إلا إنها تعتمد في تفسير الواقع، والحقيقة في ضوء المنطلقات التجريبية، وتدعمها بأليات ومعايير فيما يتم إدراكه. وتؤمن بأن هناك قوة فوقية للواقع غير ظاهرة تؤثر فيما هو ظاهر من الحقيقة.

وبهذا اعترفت الواقعية النقدية بأن النظريات العلمية لا تقدم تصوراً شاملاً وتاماً حول الظواهر المدروسة. لكنها تعتبر التكامل بين البيانات الكمية والنوعية، والدمج يؤديان إلى استنتاجات تؤكد المعرفة الحالية، التي تعزز العلاقات السببية القائمة على السياق (Clark et al., 2007). ومن الأمثلة على ذلك، إنه إذا ظهر من نتيجة جمع، وتحليل البيانات الكمية لفئة من الطلبة في مقرر ما تدني تحصيلهم، فإن النقدية الواقعية في هذه الحالة، تعتقد بأن هذه النتيجة جزء من الحقيقة تمثلت من خلال الرصد، والإدراك في المستوى الإمبيريقي. وهو المستوى الأول من مستويات الحقيقة. ثم تنتقل إلى المستوى الثاني في طبقات طبيعة الوجود وهو: مستوى الفعل أو الحدث الحاصل، الذي يتمثل في أن هناك أسباباً أدت أو دفعت إلى تدني تحصيل الطلبة في المقرر. لكن يبقى المستوى الثالث الخفي (الحقيقي) وهو: الآليات، التي دفعت الطلبة إلى الوصول إلى هذه النتيجة. وتبقى هذه الآليات كثيرة، ومتداخلة، ومعقدة أحياناً. ونتيجة لذلك، فإن الباحث لا يتوقف عند المستوى الأول، الذي أنتجته الإحصاءات أو البيانات الرقمية. وإن توقف فقد أصبح المبدأ مبدأ وضعياً تاماً. ولكن ينتقل إلى البحث عن الأسباب، والآليات، التي تفسر ما وراء ذلك التدني في التحصيل (الفعل)، ثم يتجاوزه إلى فهم الآليات الكامنة وغير الظاهرة وراء عملية تدني التحصيل، التي يعتقد ترجيحاً بأنها وراء عملية تدني التحصيل. وتبقى مجموعة متنوعة، ومتداخلة، ومعقدة من الآليات التي أدت إلى تدني ذلك التحصيل. ولاكتشاف هذه العوامل المتعددة والمعقدة توظف الواقعية النقدية الأساليب النوعية. ولهذا يبرر ساير إلى تطبيق التصاميم المختلطة بروح النقدية الواقعية (Sayer, 2000). ويدعمه كوهين وآخرون في أن البحوث المختلطة يمكن أن تعني أشياء كثيرة، وتمكّن الباحث من استخدام أنواع متعددة من جمع البيانات، التي تتماشى مع المنهجين الكمية والنوعي (Cohen et al., 2018).

وفي ظل النقدية الواقعية تتاح عملية الجمع بين الأساليب الكمية والنوعية من أجل تعزيز النتائج بشكل أكبر(Venkatesh et al., 2013). ويمكن البحث عن التأكيدات كمقياس للموثوقية والجدارة. وساهمت النقدية الواقعية على مستوى نظرية المعرفة من تمكين البحوث المختلطة من شرح العلاقة بين التجارب، والأحداث، والأليات. والتأكيد على أسئلة كيف، ولماذا تكونت ظاهرة معينة، وكيف، ولماذا تشكل طابعها الخاص. وبالتالي، فإن المعرفة تركز على تفسيرات القانون للظاهرة التجريبية ولا تعطي تنبؤات (Jeppesen, 2005).

الفلسفة البرجماتية

البرجماتية "مدرسة في التفكير" الذي انبثق من أفكار العلماء الأمريكيين الثلاثة: تشارلز بيرس (١٨٣٩-١٩١٤)، ووليام جيمس (١٨٤٢-١٩١٠)، وجون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢) (Biesta,2010). في القرن التاسع عشر، طور تشارلز بيرس البرجماتية كمفهوم في نظرية المعرفة (Maxcy, 2003)، لتهتم بالتطبيقات العملية للإجابة عن سؤال "ما الذي يقدم الحل؟" و"ما الذي يعمل؟" وتقديم الحلول للمشكلة المدروسة (Patton, 2015). ونقلت الاهتمام بالأطر المجردة إلى التركيز على القضية محل الدراسة. ولذلك، عرفت على أنها "نموذج تفكيكي يكشف زيف بعض مفاهيم مثل: "الحقيقة" و"الواقع"، ويركز على "ما يصلح" كحقيقة فيما يتعلق بأسئلة البحث محل التحقيق. إذن، هي مجموعة من المحاولات التي تفسر الأفكار في ضوء فعالية نتائجها العملية، وتوضح الوصول إلى حل للخلافات الناشئة مما وراء الطبيعة.

إن استناد البرجماتية على الترابط بين الأفكار، وفعاليتها، وبين المستند العلمي والمنطقي التجريبي متلازمان. وهذا دفع لنكولن للقول بأن: البرجماتية تخفي تحت مظلتها العديد من العلماء الوضعيين (Swann, 1984). وقد تجلى في برجماتية بيرس أنها عقيدة، ومنهج عملي تكون فيه قيمة الفكرة في قيمتها النقدية الحاضرة. بمعنى أن التصور عبارة عن تصور للنتائج المترتبة على العملية، التي يمكن تصورها. وأن الفكرة في العلم تحمل في طياتها معاني تطبيقية وإجرائية للمفاهيم، ناتجة من نتائج البحوث التجريبية. ويعتقد بيرس بأن المفاهيم ليست أدواتاً مجردة دون تمثيل للواقع (Swann, 1984).

وفي ذات السياق، يعتقد ديفيد مورجان أن البرجماتية سلطت الضوء على الأساليب العملية لحل المشكلات البحثية، التي في أصلها تميل بقوة نحو التأكيد على الجوانب العلمية في العملية البحثية. ورغم ذلك، فإن هذا الجانب لا يمثل سوى مخرجاً واحداً من رؤية البرجماتية. ويضيف بأن البرجماتية أولت الاهتمام بالمبررات المنطقية، وتقديم الإجابة على الأسئلة، التي تناقش أسباب القيام بالبحث بالطريقة التي يقوم عليها دون غيرها من الطرق والأساليب المختلفة. إلا إنه ينتقد مبدأ البرجماتية القائم على تحقيق سؤال "ما الذي يصلح لحل المشكلة What Works" لأنه يتجاهل بقية الاختيارات المتعلقة بأهداف الدراسة التي يجب تحقيقها (Morgan, 2014, p. 1046).

ويرى بيستا (Biesta, 2010) البرجماتية أدت إلى مبدأ عدم وجود مدخل بحثي أفضل من الآخر في إنتاج المعرفة. وأن المفاضلة، التي تكون بين النماذج الفلسفية انتقلت من الافتراضات المتعلقة بالنظرة للعالم، والكون، ونظرية المعرفة كمظلة عليا إلى التركيز على الإجراءات العملية المتعلقة بأسئلة الدراسة، وأهدافها، والوصول إلى نتائج مفيدة للمشكلة المبحوثة. وهنا دعمت تعددية الأساليب البحثية في دراسة الظاهرة

الاجتماعية، ووجدت البحوث المختلطة ضالتها الفلسفية في البراجماتية. لأن الباحثين الميدانيين يسعون إلى البحث عن المنهج يعمل بشكل أفضل مع القضية البحثية المعنية بالتقصي (Tashakkori & Teddlie 2003). ونتيجة لهذا المبدأ، ارتبطت البرجماتية بالبحوث المختلطة، لأنها تصب تركيزها على نتائج البحث، وعلى أسئلته بدلاً من التركيز على المفاهيم الميتافيزيقية (Johnson & Onwuegbuzie,2004; Maxcy, 3003).

وقد أخذت البرجماتية موقفاً يقع بين الواقعية، والنسبية. فهي لا تعتقد بأن الافتراضات أو إطار العمل يشكلان المعرفة والحقيقة المحددة مسبقاً. كما أن الناس لا يشكلون الحقيقة من لا شيء، بل ينبثق تشكيلها من الخبرة المعاشة للأفراد (Easterby-Smith et al., 2012). وشككت في إمكانية تحقيق المعرفة الكاملة من الطريقة العلمية وممارساتها في استنتاج الحقيقة (Ormerod, 2006). وتتضح هذه الرؤية فيما طرحه بيرس حينما اعتقد أنّ الحقائق، والواقع تأتي في مرحلة متأخرة، لأن المعتقدات الملموسة المعتمدة على العادات والأفعال تسبقها. ومن ثم تتشكل النتائج المترتبة على تلك العادات، والمعتقدات، وتعطى لها المعاني، ثم تنقسم إلى قسمين في تشكل الحقيقة وهي:

١. تأكيد الحقيقة،

٢. أو الشك فيها.

ومن ثم تكوين معتقد جديد. وبهذه الطريقة، يظهر استفادتها من منظور الواقعية التجريبية في نزعتها التأكيدية، ومن الواقعية النقدية، التي تميل إلى الشك والدحض من جانب آخر.

إذن، البرجماتية تهدف إلى توضيح محتوى المفاهيم، والفرضيات من خلال تتبع نتائجها العملية، وتؤسس للبحث في القضايا، والمشاكل، التي تهتم بالإنسان بالدرجة الأولى. ونجد هذا القول في تطبيقات وليام جيمس للبرجماتية مثل: أنها تأكد على الجوانب الشخصية والذاتية للمعنى، وفي تركيزها على الجوهر، الذي يتعبر المحك، وأنها نافذة على تفكير الناس، وصياغة الأفكار، والتجربة، وبناء عادات جديدة (James, 2020). وهذا التفسير للمعرفة، وللمعتقدات يؤدي إلى اتخاذ إجراءات، وإلى تفكير فعَّال يؤدي إلى إنتاج طرق جديدة للمعرفة، والتصرف (Morgan, 2014).

البرجماتية فلسفة إنسانية تعتمد في جوهرها على أنَّ الإنسان قادر على إنتاج قيمه في الكون، الذي مازال في طور التكوين والتطور وفقاً للأنشطة الواقعية التي يمكن ملاحظتها. لأنها تعتبر الحقيقة من صنع البشر.

واعتقد ديوي بأن نتائج البحوث العلمية بالإمكان تحويلها إلى قواعد في العلوم التربوية (Shannon-Baker, 2016). وبالتالي، فإن القيم في منظور البرجماتية قيم

متجددة، وغير مطلقة، وتتغير بتغير الظروف الزمنية، والمكانية. فالقيمة الجيدة في زمن معين قد تتحول إلى سلبية في زمن آخر.

وبالرغم من أن هناك أكثر من شكل للبرجماتية، إلا إن هناك مجموعة من القواعد الرئيسية، التي تجعلها تركز على المخرجات، والحلول للقضايا البحثية أكثر من التركيز على طبيعة الوجود الفلسفية ومنها (Rossman & Wilson, 1985):

١. لا تلتزم بنظام فلسفي واحد أو واقع واحد.
٢. يمتلك الباحث حرية اختيار المنهج البحثي، وأدوات جمع البيانات، والإجراءات البحثية، التي تكون الأفضل لأهداف الدراسة، والحاجة إليها.
٣. لا ترى العالم على أنه وحدة واحدة نهائية، وإنما هناك عدة مداخل، وطرق لرؤيته. ويتمثل هذا إجرائياً في البحوث المختلطة حينما تستخدم المداخل المختلفة لجمع، وتحليل البيانات أكثر من اعتمادها على الطريقة الواحدة.
٤. الحقيقة هي: ما الذي يعطي فائدة، ويجدي نفعاً في وقت العمل. وليست التعددية بين الواقع المستقل عن العقل، والمنبعث من داخل العقل.
٥. تنظر إلى ماذا وكيف يتم البحث بناء على ما يترتب عليه من نتائج، وإلى أين نريد أن نصل.
٦. توافق بأن البحث يحدث في سياق اجتماعي، وتاريخي، وسياسي، وسياقات أخرى.
٧. تؤمن بأن العالم الخارجي مستقل عن العقل، وأن هناك استقرار في العقل. ولكن يجب أن نُوقف الأسئلة عن الواقع، وقانون الطبيعة، وتغيير بوصلة النظرة لذلك.

وفي ضوء هذه القواعد تجد البرجماتية على وجه الخصوص قبولاً واسعاً بين كثير من الباحثين في البحوث المختلطة أمثال: مورجان، وماكسويل، وميتابالي، وتشكري، وتدلي، وجونسون، وأونويبيوزي وآخرون (Maxwell & Mittapalli, 2010)، وجون كريسويل وبلانو كلارك في بعض تصاميمهم غير التتابعية (Creswell & Plano Clark, 2011).

الفلسفة الجدلية

تعد الفلسفة الجدلية (الديالكتيكية Dialectical Method) من أقدم أساليب التفكير في التاريخ، وتعود جذورها إلى سقراط، وأفلاطون، وأرسطو (Johnson, 2017). وقد استخدمها الفلاسفة القدماء كمبدأ في تكرار الأسئلة للمساعدة على اكتشاف القصور، والأخطاء في التفكير، والوصول إلى درجة من النضج فيما يتخذونه من قرارات. ومن نماذجها الحوار المتبادل التفاعلي بين المتحاورين أخذاً ورداً فيما بينهم عند أفلاطون (Johnson, 2017). وأطلق عليه أرسطو التفكير الجدلي، لأنه يستمر في الجمع بين الاستدلال الاستنتاجي، والاستقرئي حتى يتم التوصل إلى نتيجة (Johnson, 2017).

ووظفت جرين، وكاراسيلي (Greene & Caracelli, 1997) الموقف الجدلي في البحوث المختلطة منذ ١٩٩٧م. لأنه مبدأ يرى أن النظرية والتطبيق لا ينفصلان (McKeon, 1952). ويتعبر ديمقراطياً (Cronenberg, 2020). لأنه يركز على تمكين المشاركين من التعبير عن تجاربهم الفريدة، والمشاركة في بناء المعرفة من قبل الباحث والمشارك (Elbaz-Luwisch, 1997).

إن الموقف الجدلي يتشابه مع الموقف البرجماتي في تأسيس الديمقراطية، ورفض الثنائية، والدعوة إلى جمع المكونات المختلفة في الدراسة الواحدة (Greene & Hall, 2010). ولذلك، فإن الموقف الجدلي يمكّن الباحث من الجمع بين المكونات المختلفة في الدراسة الواحدة، ويدعم عملية تكاملها على جميع المستويات، والأبعاد في عناصر البحث بما في ذلك المستوى الفلسفي (Fetters & Molina-Azorin, 2017) أو دمج المنظورات الفلسفية (Cronenberg, 2020).

وتعتقد الجدلية بأن طبيعة الوجود ليست ذات وجود حقيقي دائم، وثابت، أو مستقر. وإنما وجود متغير ومتحرك. كما أن طبيعة ذلك الوجود ليست محمولة على الحقيقة، وإنما محمولة على رابطة منطقية قائمة على العقل. ومن هنا، اعتبرت الجدلية كمبدأ وجودي في طبيعة أنماط التغير في طبيعة الوجود أو كطريقة لفهم طبيعة ذلك التغير في المجتمع.

إن الحقيقة الواقعية عبارة عن تركيب بين الماهية والوجود الفعلي، القائم على التفاعل، والصراع، والنضال، الذي بدوره يؤدي إلى تحقيق مستويات التطور الاجتماعي في مجتمع متغير، وبين أفراد متغيرين. فكل منهما سبب لنتيجة الآخر(Buss, 1976) .

تعتمد البحوث المختلطة على هذا النموذج الفلسفي لأنه يقرأ طبيعة الوجود على أنها متعددة. وأن هناك حقائق صحيحة متعددة دائماً، ولا يوجد في كثير من الأحيان إن لم يكن دائما طريقة واحدة لإدراك الحقيقة. ويستطيع الفرد من إيجاد أكثر من طريق للواقع البسيط أو التعرف عليه. وأن كثيراً من الخلافات بين الباحثين عن المعرفة تقع حول كيفية تحليل أو تشكيل الواقع. ولذلك، فإن موقف الجدلية في إدراك طبيعة الوجود يتمثل في تصور الواقع المتعدد المتغير، والتعبير عنه، وإنتاج حقائق جديدة من عملية التفاعل الحواري المتبادل، وتبنى المعرفة بطريقة مدروسة فكرياً بشكل جيد، ومراجعتها من أصحاب المصلحة، والتخصصات، والنماذج الفلسفية.

وتعترف الفلسفة الجدلية بأن المعرفة مؤقته، وهناك إمكانية للخطأ فيها. ولكنها عملية على الأقل من منظور الأشخاص، الذين وضعوا وصاغوا القيم، والمعايير المعرفية. والسبب أنهم توصلوا إلى أفضل ما يمكنهم الوصول إليه في النقطة المعينة في ذلك التاريخ. ويحترم هذا النموذج إنتاج معرفة عبر الحوار المقصود مع اثنين أو أكثر من

طرق تحقيق نظرية المعرفة سواء كانت متجانسة أو غير متجانسة. وهي فكرة تتناسب مع جمع المعرفة من أكثر من أداة جمع بيانات في البحوث المختلطة. إلا إن الجدلية تشدد على وجوب احترام تعددية وجهات النظر المعرفية حول الظاهرة. وتعتبر القيم فيها قيماً اجتماعية، وسياسية، وثقافية، واقتصادية متعددة (Peng & Nisbett, 2000) .

ويتمثل جوهر الموقف الجدلي في تشكيل محادثة محترمة بين منظورين مختلفين، والتعلم أو الفهم الدقيق، الذي يحدث من عملية التفاعل بين وجهتي النظر المختلفتين.

وبناء على هذا، فإنه ينتقل إلى ما وراء البرجماتية، التي تعمل على التوافقات فيما بين الجانبين لمزيد من الفهم حول الظاهرة. ولكن تتمكن الجدلية من إدارة التعارضات القائمة بين المنظورين المختلفين، وتوليد منظور جديد ثالث منها، بحيث يضيف فهماً إضافياً كنتيجة محتملة واحدة (Cronenberg, 2020).

وتشكل الجدلية عبر الحوار الترددي بين الطرفين النقيضين طوال عملية البحث واقعاً، وحقيقة جديدة. ومن خلال الدمج الترددي بين الرؤيتين المختلفين، فإنها تركز على الاختلافات أو الإثارات، التي تحدث بينهما، لأن الفهم الجديد يظهر كنتيجة لتلك الاختلافات. ويقصد بالمفاوضات أو الحوار في هذا الموقف اجتماع أو مؤتمر أو لقاء بين أطراف متعارضة تتصارع في محاولة لفهم أعمق حول الظاهرة، والخروج من التعقيد القائم بينهما نظراً لتعدد المنطلقات الفلسفية المتضاربة (Fetters & Molina-Azorin, 2017). ونتيجة لهذه التضاربات، فإن الباحث يحضى بفرصة تفسير وجهات النظر المختلفة، والمتعارضة للتعلم، وتعميق الفهم، والوصول إلى رؤية جديدة (Cronenberg, 2020) كما في تصاميم البحوث المختلطة المختلفة.

ويمتاز النموذج الفلسفي الجدلي بأربع خصائص أساسية، جعلته مستهدفاً من علماء البحوث المختلطة وهي:

جدول ٣: خصائص الموقف الفلسفي الجدلي

الخاصية	التعريف
الحفاظ والاستمرارية في حوار البيانات	يحافظ الباحث على حوار مستمر بين الأشكال المختلفة من البيانات، وفهم المعرفة المنظورات الفلسفية التي تم جمع البيانات من خلالها.
تعطي صوتاً متساوياً	يتم إعطاء جميع المنطلقات الفلسفية المستخدمة في الدراسة صوتاً متساوياً أو أولوية متساوية في الحوار.
الحفاظ على سلامة البيانات	يحافظ الباحثون على سلامة أشكال البيانات الكمية والنوعية لأن تحويل البيانات يعطي شكلاً من الأولوية لمنطلق على الآخر.
قيمة التوافق والتنافر	يجب عند دمج البيانات الكمية والنوعية البحث عن البيانات المتقاربة، والبيانات المتباعدة على حد سواء، لأن كلاهما يقدم وجه نظر مهمة، وجديرة بالاهتمام للظاهرة قيد التقصي.

المصدر (Cronenberg, 2020, p. 30)

إن البحوث المختلطة، التي تتبنى طريقة التفكير الجدلي لا تسعى إلى التقارب بين النتائج كما في التتابعي التأكيدي، بقدر ما تسعى إلى هدف الإدراك، والبصيرة المعرفية من تقاربهما، وتعارضهما على حد سواء (Greene, 2005). والسبب أن محور التركيز فيها لا يكون على النموذج الفلسفي بقدر ما هو على إنتاج، وتوليد الفهم الرئيس، وتمييز الأفكار، ووجهات النظر، والمواقف المختلفة خصوصاً أنها تتبنى منظورات دقيقة في دراسة الظواهر كمنظور العرقية، والهوية الجنسية، ونحوها.

وعليه، فإن الاختلاف بين البيانات متجذر في منتجيها. ويعد أساسياً في توليد الأفكار في الدراسة البحثية المختلطة الجيدة، التي تتبنى المنطقية الجدلية. ويُولَى هذا الاختلاف، والتناقض بين النتائج المزيد من الأهمية، من حيث التركيز عليه في التحليل، والتدقيق الدقيق سواء على مستوى الأنماط، والمفاهيم الناتجة من البيانات النوعية أو المتغيرات والعلاقات الناتجة من البيانات الكمية، إلى أن يصل الباحث إلى فهم جديد حول وجهات النظر المختلفة (Cook, 1985). وتولي هذه الفلسفة أهمية بالغة بالسياق، والاختلافات الثقافية، والعرقية، والدينية، والسياسية، والمذهبية، والقيم، والعادات، والجنس. كما تولي أهمية لقيم الباحث وتمنحه صفة المفاوض في البحث (Johnson & Stefurak, 2013). ويشيع استخدامها في بحوث التشاركية والبحوث الإجرائية في العلوم التربوية.

الفلسفة التحويلية

تتفرد ميرتنز في بحوثها المختلطة بتبنيها للمنظور التحويلي (Transformative Perspective)، وتعتبره إطاراً عملياً قابلاً للتطبيق في البحوث المختلطة (Mertens, 2003). وهذا الإطار هو "عمل ميتافيزيقي يتعامل بصورة مباشرة مع التعقيد، الذي يواجه الباحثين، والمقيَّمين في المجتمعات المتنوعة ثقافياً عندما يركز عملهم على زيادة العدالة الاجتماعية" (Mertens, 2009, p. 10).

إن الفلسفة التحويلية تركز على التوترات، التي تنشأ من القوة، أو السلطة غير المتكافئة في سياق معين (Greene, 2005)، وتوظف لتعالج المشكلات الاجتماعية المستعصية بسببها. وتحاول ميرتنز بتوظيفها التحويلية في معالجة هذا الموضوع الحساس أن تدحض استخدام البرجماتية كفلسفة في البحوث المختلطة التي تتناول قضايا العدالة الاجتماعية. والسبب أن البرجماتية تركز على الجانب العملي، وعلى طرح سؤال "عملي لمن، وما النهاية" (House & Howe, 1999, as cited in Mertens, 2003). بينما تسلط الفلسفة التحويلية الضوء على نقاط القوة الموجودة في المجتمعات، التي تعاني من القمع على أساس قيمهم الثقافية، أو خبراتهم أو المعتقدات الدينية، أو الجنس، أو الإعاقة. وهذا كدراسة القضايا، التي تتناول دراسة المهاجرين، أو ذوي

الأعراق المختلفة، أو الإثنية، أو الفرد كمواطن أصلي أو مستعمر (Mertens, 2009). وترتكز عقيدة الفلسفة التحويلية على مبدأ القوة، والنزعة السلطوية، وتأثيرها، الذي يجب معالجته في كل مرحلة من مراحل البحث. ومن أجل تمثيل نقطة تركيز البحث، واتخاذ قرار هدفه الدقيق في مرحلة مبكرة بطريقة تشاركية مع المشاركين، بحيث تحفظ لهم حرية التعبير مع الباحث عن قضيتهم، وتشكيل إطار عمل للدراسة، بدلاً من إشراكهم في تنفيذ إجراءات بحثية روتينية لا تعبر عن صوتهم بفاعلية، ولا تؤدي لتغيير نتيجة واقعهم الحالي.

ولذلك، فإن النظرية النقدية، ومفرزاتها عملية بحثية سياسية، لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بواقع الثقافة الغربية الحديثة، وأجنداتها، التي نشأت بعد عصور الظلام الأوروبية أو ما قبل الحداثة. وكذلك نشأت في ظل تناقضات النماذج الاقتصادية: كالرأسمالية، والاشتراكية، والشيوعية وما أنتجته من صراع بين الطبقات الاجتماعية الأوروبية على وجه التحديد. وظهر وتغذى ونمى هذا المنظور التحويلي أو النظرية التحررية (Emancipatory Theory)على مبادئ الديمقراطية الحديثة الغربية (Salter, 2013).

وحتى تتضح مفاهيم هذا الفكر الفلسفي للباحث، فإني بحاجة لتناولها في ضوء ركائز النموذج الفلسفي الأربع (طبيعة الوجود، ونظرية المعرفة، والمناهج، والقيم). ومن خلال مناقشتها أجيب على كيف ينظر النموذج التحويلي ونظرياته المختلفة للواقع، والوجود؟ ومن الذين يستطيعون تعريفه، وما الذي يمنح الواقع من امتيازات لمدركيه، وما هي العدالة الاجتماعية، التي يتبناها، وينطلق منها، وما النتائج المترتبة على قبول الواقع دون تحليل نقدي له؟ وكيف للبحوث المختلطة أن تسلط الضوء بمرونتها على هذا االواقع وتقدم تفسيرات منطقية له. وما هي المعرفة، وكيف ينظر إليها؟ وما هي الأخلاقيات، والمعتقدات التي تشكل السلوك الأخلاقي له؟ وأخيراً، ما هي المناهج والأساليب، التي ينتهجها للوصول إلى مبتغاه في علمية البحث؟

تفترض التحويلية أن الحقيقة متعددة في نسخ مختلفة، وترفض النسبية الثقافية، لأنها تمنح التميز لنسخة واحدة على حساب النسخ الأخرى من الواقع. ولذلك تؤثر المنظورات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والعرقية، والاقتصادية على بناء وتشكيل الواقع. ورغم تعدد أوجه الواقع، إلا إنه بحاجة إلى فحص نقدي من خلال نقد الأيديولوجية التي تسهم في استدامة الهياكل، والسياسات الاجتماعية القمعية (Mertens et al., 2010). ولكن تستمر المحاولات في اكتشاف أي نسخة من ذلك الواقع، التي تقدم فهماً يمكن أن يؤدي إلى تغيير الوضع الراهن للفئة المستهدفة، وتعزيز العدالة الاجتماعية لهم في ذلك المجتمع.

وتعتقد أن المعرفة تبنى بالتفاعل بين الباحثين، والمشاركين، وتتأثر بالسياقات التاريخية، والاجتماعية. ولذلك، تؤمن ببناء علاقات الثقة، وصناعة التحالفات السياسية الفعالة. ويشترط داوني في النموذج التحويلي أن يفهم الباحث كيفية بناء علاقات الثقة مع المشاركين، الذي يعانون في مجتمعهم، في السياقات المختلفة التي تتناسب مع قضيته البحثية (Downey, 2009).

ومن أجل فهم طبيعة الواقع المتعدد الأوجه، وكيفية صلته الوثيقة بالسلطة، فإن الباحث يلجأ إلى بناء علاقات متينة، وتفاعلية مع أعضاء المجتمع البحثي، وفهم السياقات التاريخية والاجتماعية بشكل جيد لهم (Mertens, 2012). وعادة يكون الباحث جزءا من أعضاء المجتمع المهمش أو يجرى البحث فريق من الباحثين سواء كانوا أعضاء أو غير أعضاء في ذلك المجتمع. وهذه العلاقة تحمل تحديا في ذاتها، أقله الموازنة بين الموضوعية، والحياد فيما ينقله المشاركون عبر المشاركة الاندماجية معهم في البحث. ولذلك، يشكك كريستيانز في أن "حيادية الباحث في هذا الموضع قادرة على تصحيح الحقائق"(Christians, 2005, p. 148). ويعزي ذلك إلى قوة العلاقة بين المشاركين والباحث، التي يجب الاعتراف بها في البحث. ومن الأمثلة على استخدام هذه الفلسفة في البحوث المختلطة، وتمكن الباحث من فهم القضية محل الدراسة، وإدراك سياقها التاريخي، والثقافي، في المجال التربوي هو: معلم الاحتياجات الخاصة. ففيه تتوفر صفة، أنه جزء من مجتمع الاحتياجات الخاصة، وذو صلة مباشرة بالطلاب، وأولياء أمورهم، وبالمقررات، وبآلية تقيممهم، ومدرك لسياقهم التعليمي، ويعد جزء من واقعهم اليومي.

وفيما يتعلق بالقيم والأخلاقيات، فإن المجتمع يحترم أهمية التاريخ الثقافي، وأنماط التفاعلات فيه لأجل إجراء البحوث التي تستطيع زيادة تحقيق العدالة الاجتماعية له. وأن على الباحثين مهمة إدراك وفهم إنتشار التمييز والقمع والاضطهاد، وما وقع على المجتمع محل الدراسة منها بقدر كاف يمكنهم من تحديد الوضع الراهن، وتوفير أساس متين للتغير الاجتماعي. فالباحثين في بحوث السكان الأصليين (Indigenous Research) على سبيل المثال بحاجة إلى فهم ثقافتهم، وآرائهم، وأخلاقهم، لأنها توفر شروطاً مرجعية للقيام بالأبحاث في مجتمعهم. والمجتمع الذي يشعر بالدونية، والظلم، يشكل مجالساً ومنظمات تحدد من خلالها المبادئ والحقوق، والإجراءات، والأخلاقيات، التي يجب أن يأخذها الباحث بعين الاعتبار عند دراسة تلك الفئة (Smith, 2008). وتعلق ميرتنز على أهمية الكفاءة الثقافية للباحث، ولمن يتخذ قرارات ما هو أخلاقي أو غير أخلاقي عن تلك الفئة (Mertens, 2010)، لأنها ترتبط بالقدرة على تمثيل الواقع بدقة في المجتمعات المعقدة ثقافياً. وتستطيع المساهمة في مقاربة البحث مع المجتمع، وتحويل المعالجات وشرعنتها

ليقتنع بها المجتمع قبل المطالبة بها (Guzman, 2003). وتعرف الكفاءة الثقافية في البحث على أنها "شكل أو طريقة منهجية حساسة، ومتجاوبة للاستفسار، تفهم وتدرك وتقدر بشكل نشط السياق الثقافي الذي يتم فيه البحث" (Mertens, 2010, p. 4). وبهذا، فإن الإطار الأخلاقي يسهم في تأطير نظرية المعرفة في البحث، ويوجه لاستخدام منهجية مناسبة ثقافياً وسياقياً، وأساليب تفسيرية مولدة من المجتمع للوصول إلى النتائج، وكيفية استخدامها (SenGuptaet al., 2004). وبناء على رؤيتها للواقع، والحقيقة، ونظرية المعرفة ودور الباحث فإن مناهجها البحثية تحمل ثقلاً نوعياً (Mertens, 2010). ويمكن لتصميمات البحوث المختلطة تلبية الكثير من الاحتياجات المعرفية لهذه الفلسفة. إلا إن من الضروري أن يتم تحديد قرار التصميم البحثي بطريقة واعية للعوامل السياقية، والثقافية، والتاريخية، لا سيما فيما يتعلق بالتمييز، والقمع. ونتيجة لإدراك هذه العوامل، فإن تكوين شراكات مع الباحثين والمجتمع هي خطوة مهمة في معالجة الأسئلة المنهجية في البحث (Mertens, 2009).

ويظهر وفقاً لأهمية جمع البيانات النوعية في التحويلية أن الباحثين يبدأون بمرحلة جمع البيانات النوعية من أجل التعرف على المجتمع، وتكوين إطار القيم الأخلاقية، وصناعة علاقات وثيقة به. ومن ثم يمكن استكمال مرحلة جمع البيانات النوعية بأخرى كمية. ومن النادر أن يكتفي البحث المتبني لهذه الفلسفة بمرحلة جمع بياناته لمرة واحدة، وبنوع واحد من البيانات. وبناء على هذا، فإن السيناريو الأكثر احتمالاً للمنهجية في هذا النموذج الفلسفي هو: استخدام المنهج المختلط في جمع دوري متكرر للبيانات النوعية والكمية، التي تغذي القرارات اللاحقة حول كيفية استخدام هذه البيانات أو مساهمتها في إجراء تغيير واقع ذلك المجتمع. وقد أقترح كريسويل وكلارك بأن التصميم التتابعي، الذي يبدأ بجمع بيانات نوعية أولاً قد يستخدم لتسليط الضوء على الظاهرة المعتمدة على التحويلية. ويمكّن هذا التصميم الباحث من فهم الظاهرة ووجهة نظر المشاركين الخاصة أولاً. ومن ثم الشرح، والتوسع، والزيادة لفهم تلك الظاهرة المدروسة(Creswell & Plano Clark, 2011).

ويظهر من خلال استخدامها في البحوث المختلطة أنها تسعى إلى أن تصل إلى فهم شامل لإدراك الواقع، ومعرفة الأبعاد المختلفة ذات الصلة به، وتحديد أدوار القوى المؤثرة في ذلك الواقع الاجتماعي المعقد ثقافياً (Mertens, 2007). وتوفر هذه الفلسفة إطاراً عاماً يتشكل أحيانا في صورة أيديولوجية لتوجيه أسئلة البحث، وطريقة جمع وتحليل وتفسير البيانات، وتقديم نتائجه تحت مبررات حقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية (Shannon-Baker, 2016).

خاتمة

تقود المنطلقات الفلسفية على أية حال المناهج البحثية، وتسترشد العملية البحثية بمكونات المعتقدات الفلسفية لرؤية الكون، والحقيقة، والمعرفة، والقيم، والإطار النظري، الذي يشكل الفهم، والتفسير، واختيار الأدبيات البحثية، والممارسة البحثية حول موضوع الدراسة. ورغم هذا الدور الفاعل لهذه الرؤى الفلسفية في العلمية البحثية، إلا إنه لا يمكن الجزم بأيها أصح من الآخر، وإنما يبقى الأمر لقدرة الباحث في اختيار المنطق المناسب لدراسة الظاهرة، وبناء تصميمها المناسبة فلسفياً وتطبيقياً. والركيزة الرئيسية هي أن يحدد الباحث وجهة نظره من دراسة الظاهرة، وأن يصمم بحثه وفقاً للأسئلة الرئيسية في النموذج الفلسفي. كالتفكير في ما هو حقيقي (ما هي الحقيقة؟)، وماذا نعرف؟ وكيف نعرفه؟ (نظرية المعرفة)، وتحديد المنظور النظري الذي تدرس الظاهرة به. ومعرفة نظام القيم، الذي يتبناه في الدراسة، وبيان آلية الدمج والربط بين العناصر الكمية والنوعية. اتفق العلماء على أهمية النموذج الفلسفي عند دراسة الظواهر في العلوم الإنسانية والاجتماعية في البحوث المختلطة وغيرها من المناهج البحثية، إلا إن وجهات نظرهم تتعدد في تبني فلسفة واحدة في البحوث المختلطة. ولكن تبقى البحوث المختلطة مرنة لتقبل الممارسات المختلفة، التي تؤدي إلى استنتاجات معرفية منطقية. وفي ضوء مرونتها استطاعت البحوث المختلطة أن تستقطب الفلسفات الداعمة لمبدأ الجمع بين الجوانب الكمية والنوعية. وتشكل من جدل تلك الفلسفات حقيقة حول ما يدعم إجراءات فلسفتها بشكل براجماتي يخدم الظاهرة المدروسة في واقعها الحقيقي.

تقع مناقشة الأسس الفلسفية في البحوث العلمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية في صميم المنهج العملي. وهي من أهم المحاور الأساسية وأعقدها على الباحث نظراً لمناقشتها قضايا مجردة. إلا إن تأثيرها في إدارة عملية البحث، ومخرجاته يجعلها تحظى بعناء التعلم. وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

١. أهمية معرفة دور الأسس الفلسفية في البحوث المختلطة، والتأكيد على ما تقوم به من تأثير في عملية جمع، وتحليل البيانات المختلفة في الدراسة الواحدة.
٢. أكدت الدراسة على اختلاف مكونات المنطلقات الفلسفية في دراسة الظاهرة الإنسانية والاجتماعية، واختلاف رؤيتها للواقع، والحقيقة، والمعرفة، ودور الباحث في جميع الفلسفات الأربع المناقشة في هذه الدراسة.
٣. رغم تأكيد الدراسة على أهمية استخدام النماذج الفلسفية، إلا إنها لا تمنح أيها أفضلية عن الآخر في العلوم الاجتماعية والإنسانية. لأن الظاهرة الإنسانية متجددة، وظروف تقصيها متغيرة. ويفضي تفضيل نموذج فلسفي عن غيره في دراستها إلى تشويهها.

بينت الدراسة أن غاية الجمع بين الجوانب الكمية والنوعية في الدراسة المختلطة مدعوم بوجهات نظر فلسفية عالمية. وتستند على علاقة منطقية في رؤيتها للواقع، والحقيقة، والمعرفة. وتمد الباحث بإجراءات منطقية في تقصي الظاهرة الإنسانية.

وبهذا توصي الدراسة بأهمية مناقشة وإيضاح النماذج الفلسفية في الدراسة المختلطة لأن تأثيرها متجذرا في كافة إجراءات العمل البحثي. ونظرا لتعدد جوانب هذه البحوث العلمية وإجراءتها، والحاجة إلى الربط بين واقع تنفيذ إجراءات البحوث المختلطة بمأسسها الفلسفية فإن الدراسة توصي بما يلي:

١. تكمن التوصية الرئيسية في الدراسة إلى دعوة الباحثين وحثهم لاستخدام الأسس الفلسفية في بحوثهم المختلطة، التي تجمع بين الجوانب الكمية والنوعية في دراسة واحدة.
٢. الالتزام بمبادئ الفلسفة البحثية، التي يستند عليها دراسة الظاهرة في كامل إجراءات العمل البحثي. وبيان مكوناتها بدء بطبيعة الوجود، ونظرية المعرفة، والمنهجية، وأدوات جمع وتحليل البيانات، ودور الباحث وعلاقته بالمشاركين في الدراسة.
٣. تفعيل تدريس الأسس الفلسفية في مناهج البحوث العلمية في الدراسات العليا، وتشجيعهم على استخدامها في أعمالهم الأكاديمية، وتزويد الباحثين بمعرفة المنطلقات الوجودية، والمعرفية، للبحوث المختلطة. وهذا يتيح لهم فرصة فهم دراسة الظواهر، وتوظيف الإجراءات، ونقد المنطلقات المختلفة.

المراجع

Abbott, A. (2004). *Methods of discovery: Heuristics for the social sciences.* W.W. Norton & Company.

Albert, K., Brundage, J., Sweet, P., & Vandenberghe, F. (2020). Towards a critical realist epistemology?. *Journal for the Theory of Social Behaviour*, *50*(3), 357-372.

Bazeley, P. (2018). *Integrating analysis in mixed methods research.* Sage.

Bhaskar, R. (1975). Forms of realism. *Philosophica, 15* (1), 99-127. Retrieved Sebtember 20, 2023, from https://www.philosophica.ugent.be/wp-content/uploads/fulltexts/15-8.pdf

Biesta, G. (2010). Pragmatism and the philosophical foundations of mixed methods research. In A. Tashakkori., & C. Teddlie (Eds.), *Handbook of mixed methods in social & behavioral research* (pp. 95-118). Sage.

Blaikie, N., & Priest, J. (2019). *Designing social research: The logic of anticipation.* Polity Press.

Bryman, A. (2016). *Social research methods*. Oxford University Press.

Budd, J., Hill, H., & Shannon, B. (2008). Critical realism as a means of exploring information seeking. *Proceedings of the Annual Conference of CAIS/Actes du congrès annuel de l'ACSI.* Retrieved August 21, 2023, from https://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.577.9696&rep=rep1&type=pdf

Buss, A. (1976). Development of dialectics and development of humanistic psychology. *Human Development, 19*(4), 248-260.

Christians, C. (2005). Ethics and politics in qualitative research. In N. Denzin., & Y. Lincoln (Eds), *The Sage handbook of qualitative research* (pp. 139-164). Sage.

Clark, A., MacIntyre, P., & Cruickshank, J. (2007). A critical realist approach to understanding and evaluating heart health programmes. *Health: An Interdisciplinary Journal for the Social Study of Health Illness and Medicine, 11*(4), 513-539.

Cohen, L., Manion, L., & Morrison, K. (2018). *Research methods in education.* Routledge.

Cohen, M. (2011). *Philosophy for dummies.* John Wiley & Sons.

Cook, T. (1985). Postpositivist critical multiplism. In L.Shotland, & M. Mark (Eds.), *Social science and social policy* (pp. 21-62). Sage.

Creswell, J. (1998). *Qualitative inquiry and research design: Choosing among five traditions.* Sage.

Creswell, J., & Plano Clark, V. (2011). *Designing and conducting mixed methods research.* Sage.

Cronenberg, S. (2020). Paradigm parley: A framework for the dialectic stance. *Journal of Mixed Methods Research, 14*(1), 26-46.

Crotty, M. (2015). *The foundations of social research: Meaning and perspective in the research process*. Sage.

Cruickshank, J. (2002). *Realism and sociology: Anti-foundationalism, ontology and social research.* Routledge.

Danermark, B., Ekstrom, M., & Jakobsen, L. (2019). *Explaining society: An introduction to critical realism in the social sciences.* Routledge.

Downey, D. (2009). Institutional activism and community building: Human relations responses to 9/11 in Orange County, California. *American behavioral scientist, 53*(1), 99-113.

Easterby-Smith, M., Thorpe, R., & Jackson, P. (2012). *Management research*. Sage.

Elbaz-Luwisch, F. (1997). Narrative research: Political issues and implications. *Teaching and Teacher Education, 13*(1), 75-83.

Fetters, M., & Molina-Azorin, J. (2017). The Journal of Mixed Methods Research starts a new decade: The mixed methods research integration trilogy and its dimensions. *Journal of Mixed Methods Research, 11*(3), 291-307.

Freshwater, D., & Cahill, J. (2013). Paradigms lost and paradigms regained. *Journal of Mixed Methods Research, 7*(1), 3-5.

Greene, J. (2005). The generative potential of mixed methods inquiry. *International Journal of Research & Method in Education, 28*(2), 207-211.

Greene, J., & Caracelli, V. (1997). Defining and describing the paradigm issue in mixed-method evaluation. *New Directions for Evaluation, 74*, 5-17.

Greene, J., & Hall, J. (2010). Dialectics and pragmatism: Being of consequence. In A. Tashakkori, & C. Teddlie (Eds.), *Sage handbook of mixed methods in social and behavioral research* (pp. 119-143). Sage.

Guba, E. (1987). What have we learned about naturalistic evaluation? *Evaluation Practice, 8*(1), 23-43.

Guzman, B. (2003). Examining the role of cultural competency in program evaluation: Visions for new millennium evaluators. In S. Donaldson, & M. Scrive (Eds), *Evaluating Social Programs and Problems: Visions for the New Millennium* (pp. 167-182). Lawrence Erlbaum.

James, W. (2020). *Pragmatism: A new name for some old ways of thinking.* Independently Published.

Jeppesen, S. (2005). Critical realism as an approach to unfolding empirical findings. *The Journal of Transdisciplinary Environmental Studies, 4*(1), 1-9.

Johnson, B., & Onwuegbuzie, A. (2004). Mixedmethods research: A research paradigm whose timehas come. *Educational Researcher, 33*(7), 14-26.

Johnson, R. (2017). Dialectical Pluralism: A Metaparadigm Whose Time Has Come. *Journal of Mixed Methods Research, 11*(2), 156-173.

Johnson, R., & Stefurak, T. (2013). Considering the evidence-and-credibility discussion in evaluation through the lens of dialectical pluralism. *New Directions for Evaluation, 138*, 37-48.

Kaushik, V., & Walsh, C. (2019). Pragmatism as a research paradigm and its implications for social work research. *Social Sciences, 8*(9), 255-272.

Kuhn, T. (1996). *The Structure of Scientific Revolutions.* University of Chicago Press.

Lincoln, Y. (1990). The making of a constructivist: A remembrance of transformations past. In E. Guba., *The paradigm dialog* (pp. 67-87). Sage.

Lincoln, Y., Lynham, S., & Guba, E. (2011). Paradigms and perspectives in contention. In N. Denzin., & Y. Lincoln (Eds.), *The Sage handbook of qualitative research* (pp. 91-95). Sage.

Margaret, A., Bhaskar, R., Collier, A., Lawson, T., & Norrie, A. (1998). *Critical Realism.* Routledge.

Maxcy, S. (2003). Pragmatic threads in mixed method research in the social sciences: The search for multiple modes of inquiry and the end of the philosophy of formalism. In A. Tashakkori, & C. Teddlie (Eds.), *Handbook of Mixed Methods in the Social and Behavioural Sciences* (pp. 51-89). Sage.

Maxwell, J. & Mittapalli, K. (2010). Realism as a stance for mixed methods research. In A. Tashakkori, & C. Teddlie (Eds.), *Sage handbook of mixed methods in social and behavioral research* (pp. 145-167). Sage.

McEvoy, P., & Richards, D. (2006). A critical realist rationale for using a combination of quantitative and qualitative methods. *Journal of Research in Nursing, 11*(1), 66-78.

McKeon, R. (1952). Philosophy and action. *Ethics: An International Journal of Social, Political, and Legal Philosophy, 62*(2), 79-100.

Mertens, D. (2003). Mixed methods and the politics of human research: The transformativeemancipatory perspective. In A. Tashakkori, & C. Teddlie (Eds.), *Handbook of mixed method social & Handbook of mixed method social & behavioral research* (pp. 135-164). Sage.

Mertens, D. (2009). *Transformative research and evaluation*. Guilford.

Mertens, D. (2010). *Research and evaluation in education and psychology: Integrating diversity with quantitative, qualitative, and mixed methods*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Mertens, D. (2012). Transformative mixed methods: Addressing inequities. *American Behavioral Scientist, xx*(x), 1-12.

Mertens, D. M. (2007). Transformative paradigm: Mixed methods and social justice. *Journal of mixed methods research, 1*(3), 212-225.

Mertens, D., Bledsoe, K., Sullivan, M., & Wilson, A. (2010). Utilization of mixed methods for transformative purposes. In C. Teddlie, & A. Tashakorri (Eds.), *Handbook of mixed methods research (pp. 139-214)*. Sage.

Morgan, D. (2007). Paradigms lost and pragmatism regained: Methodological implications of combining qualitative and quantitative methods. *Journal of Mixed Methods Research, 1*(1), 48-76.

Morgan, D. (2014). Pragmatism as a paradigm for social research. *Qualitative Inquiry, 20*(8), 1045-1053.

Morse, J., & Niehaus, L. (2016). *Mixed method design: Principles and procedures.* Routledge.

Norwich, B. (2020). Thinking about the nature of educational research: Going beyond superficial theoretical scripts. *Review of Education, 8*(1), 242-262.

Ormerod, R. (2006). The history and ideas of pragmatism. *Journal of the Operational Research Society, 57*(8), 892–909.

Patton, M. (2015). *Qualitative research and evaluation methods: Integrating theory and practice.* Sage.

Peng, K., & Nisbett, R. (2000). Dialectical responses to questions about dialectical thinking. *American Psychologist, 55*(9), 1067-1068.

Rossman, G., & Rallis, S. (2003). *Learning in the field: An introduction to qualitative research.* Sage.

Rossman, G., & Wilson, B. (1985). Numbers and words: Combining quantitative and qualitative methods in a single large-scale evaluation study. *Evaluation Review, 9*(5), 627-643.

Salter, L. (2013). Democracy, new social movements, and the Internet: A Habermasian analysis. In M. Mccaughy, & M. Ayers (Eds.), *Cyberactivism* (pp. 127-154). Routledge.

Saunders, M., Lewis, P., & Thornhill, A. (2019). *Research methods for business students*. Pearson.

Sayer, A. (2000). *Realism and social science.* Sage.

SenGupta, S., Hopson, R., & Thompson-Robinson, M. (2004). *In search of cultural competence in evaluation toward principles and practices: New directions for evaluation.* Jossey-Bass.

Shannon-Baker, P. (2016). Making paradigms meaningful in mixed methods research. *Journal of Mixed Methods Research, 10*(4), 319-334.

Smith, J. (1983). Quantitative versus qualitative research: An attempt to clarify the issue. *Educational researcher, 12*(3), 6-13.

Smith, K. (2008). Comparing state and international protections of indigenous peoples' human rights. *American Behavioral Scientist*, *51*(12), 1817-1835.

Swann, W. (1984). Quest for accuracy in person perception: A matter of pragmatics. *Psychological review*, *91*(4), 457.

Tashakkori, A., & Teddlie, C. (2003). *Handbook of mixed methods in social & behavioral research.* Sage.

Tashakkori, A., Johnson, B., & Teddlie, C. (2021). *Foundations of mixed methods research: Integrating quantitative and qualitative approaches in the social and behavioral sciences.* Sage.

Venkatesh, V., Brown, S. A., & Bala, H. (2013). Bridging the qualitative-quantitative divide: Guidelines for conducting mixed methods research in information systems. *MIS quarterly, 37* (1), 21-54.

Walsh, D., & Evans, K. (2014). Critical realism: An important theoretical perspective for midwifery research. *Midwifery, 30*(1), e1-e6.

Wellington, J. (2015). *Educational research: Contemporary issues and practical approaches*. Bloomsbury Publishing.